

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١٠)

الْفَصِيحَةُ الْعَجَبَا

فِي الظَّلَامِ عَلَى حَدِيثِ

أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنَا مَا

تَأَلَّفْتُ

السَّيِّحُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْبَرْبَيْرِ الْحَسَنِيِّ الْبَيْرُوتِيِّ

(١١٦٠ - ١٢٢٦ هـ)

مُخَيَّرٌ

مِنْ مَرْيَمَ سَعْدِ الدِّينِ مَشْفِيَّةٍ

سَاهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمَجْبِرِهِمْ

بِأَرْشَادِ الشَّيْخِ الْإِسْلَامِيِّ

الفَصِيحَةُ الْعَجَبَا
في الكلامِ على صَدِي
أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله حَمْدَ معترفٍ له بالفضل والإنعام، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للأنام، محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه البررة الكرام.

أما بعد، فإنَّ من البرِّ تعاهدَ آثار الأجيال الماضية، والقيام بنشر أعمالهم الحسنة وما دلُّوا عليه من الخير. وإن أولى من يَبْرُ المرءُ من كان منه قريب الزمان لصيق المكان، لذا أحببت أن تكون مشاركتي لهذا العام الهجري - أعني سنة ١٤٢٠هـ - في لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام برسالتين لعالمين جليلين من علماء بلدي بيروت، قيامًا بحقِّهما وتعريفًا للقاصي والداني بفضلهما، وفضل أهل هذا الثغر الذي زخر بالعلماء منذ سكنه المسلمون وربطوا فيه، وفي مقدمتهم الإمام المجتهد، الصادق بالحق، والجامع بين العلم والعمل، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رحمه الله تعالى وأحسن مثواه.

أما الرسالة الأولى فهي «الفصيحة العجما في الكلام على حديث: «أحبب حبيبك هوناً ما...»» للشيخ الأديب أحمد بن عبد اللطيف البربري المتوفى سنة ١٢٢٦هـ، بيَّن فيها معاني هذا الأثر النبوي وأظهر فصاحته وبلاغته، جاعلاً جُلَّ شرحه له من أبواب اللغة والنحو والأدب، ولا غرو فهو أحد فرسان هذا الميدان البارعين فيه.

وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسخة المؤلف بخطه، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد حالياً)، ضمن مجموع برقم ١٠٠٤٩، من (ق ١٣٩ - ١٤٢).

أما الرسالة الثانية فهي «تحذير الجمهور من مفاصد شهادة الزور» للشيخ أحمد بن عمر المحمصاني المتوفى سنة ١٣٧٠هـ، وسيأتي الكلام عليها في أولها.

ومن الله نرجو العون والسداد والتوفيق والإمداد، وأن يتقبل منا ويعاملنا بما هو أهله، إنه سميع قريب مجيب.

وكتبه

حامدًا ربَّ البرية

مصلّيًا على النبي والذرية

مُحمَّد بن سَعْدِ الدِّينِ حَمْدِيقِي

نصُّ الحديث وتخریجه وشرحه

قال الإمام الحافظ الحجة أبو عيسى الترمذي في سننه في كتاب البرِّ
والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض ٣٦٠/٤
(ح ١٩٩٧):

حدثنا أبو كُريب، حدثنا سُويد بن عمرو الكلبي عن حمّاد بن
سَلَمَة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أراه رفعه قال:
«أَحِبِّ حَبِيْبِكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيْضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ
بَغِيْضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيْبَكَ يَوْمًا مَا».

التخريج:

— قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من
هذا الوجه، وقد رُوِيَ هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا رواه
الحسن بن أبي جعفر وهو حديث ضعيف أيضًا بإسناد له عن عليّ عن
النبي ﷺ، والصحيح عن علي موقوفٌ قوله.

والحديث رواه عدا الترمذي:

— الحافظ الطبراني في معجمه الأوسط والكبير من حديث ابن

عمر، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٨٨: وفيه جميل بن زيد، وهو ضعيف.

– وفي الأوسط والكبير أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو، قال الهيثمي ٨/٨٨: وفيه محمد بن كثير الفهري، وهو ضعيف.

– والبخاري في الأدب المفرد ح ١٣٢١، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بلفظ: هل تدري ما قال الأول؟ أحب حبيبيك . . .

– قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الكافي الشاف بتخريج أحاديث الكشاف ص ١٢٢ (أحاديث سورة الفرقان):

الحديث أخرجه الترمذي من رواية أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة، تفرد به سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب، قال الترمذي: غريب.

وقال ابن حبان في الضعفاء^(١): سويد بن عمرو يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة، وليس هذا من حديث أبي هريرة، وإنما هو من قول علي رضي الله عنه، وقد رفعه الحسن بن أبي جعفر عن أيوب عن حميد بن عبد الرحمن عن علي، وهو خطأ فاحش.

ورواية الحسن بن أبي جعفر في فوائد تمام^(٢).

وأخرجه ابن عدي^(٣) من طريق الحسن بن دينار عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال: الحسن بن دينار أجمعوا على ضعفه.

(١) كتاب المجروحين ١/٣٥١ – ٣٥٢.

(٢) الروض البسام بترتيب فوائد تمام ٣/٤١٥، ح ١١٩١.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢/٧١١.

ورواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، لكن الراوي له عن أبي الزناد متروك، وهو عباد بن كثير. وفي الباب عن ابن عمر، أخرجه الطبراني، وفيه أبو الصلت الهروي، وهو متروك.

وعن ابن عمرو بن العاص، أخرجه أيضًا من طريق محمد بن كثير الفهري عن ابن لهيعة عن أبي قبيل عنه، وهذا إسناد واهٍ جدًا. والموقوف عن علي، أخرجه البيهقي في الشعب في الحادي والأربعين من رواية أبي إسحاق عن صبرة بن يزيد ثم عن علي. وقال الدارقطني: الصحيح عن علي موقوف، اهـ^(١).

— قال الشيخ المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٧٧/١ بعد أن عرض لروايات الحديث: وبعد أن علمت هذه الروايات فاعلم أن أمثلها الأولى — أي رواية الترمذي — ، وقد استدرك الحافظ العراقي على الترمذي دعواه غرابته وضعفه، فقال: قلت: رجاله رجال مسلم، لكن الراوي تردد في رفعه، انتهى. والمصنف — أي السيوطي في الجامع الصغير — رمز لحسنه.

الشرح:

قوله: (أراه) هو بضم الهمزة، أي: أظنه، وهي الرؤية الذهنية، فإن أُريدَ الرؤية البصرية كانت بفتح الهمزة.

(١) في نص ابن حجر في «الكافي الشاف» أخطاء صححتها من المراجع المشار إليها.

قوله: (أحبب حبيبك هوناً ما)، أي: حباً مقتصدًا لا إفراط فيه .

قوله: (عسى أن يكون بغيضك يوماً ما)، أي: فلربما انقلب هذا الحب بغضاً بتغيّر الزمان والأحوال فلا تكون قد أسرفت في حبه فتندم عليه إذا أبغضته .

قوله: (وأبغض بغيضك هوناً ما)، أي: بغضاً معتدلاً لا إفراط فيه .

قوله: (عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)، إذ ربما انقلب هذا البغض حباً فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحي منه إذا أحببته .

ترجمة المؤلف^(١)

هو العلامة الأديب، والشاعر النَّائر؛ أديب الفقهاء، وفقه الأديباء؛ الشيخ شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمد البربرير الحسني البيروتي الأصل^(٢)، الدمياطي المولد، الدّمشقيّ وفاة.

(١) مصادر ترجمته: «حلية البشر» لعبد الرزاق البيطار (١/٢١٧)؛ و «أعيان دمشق» لجميل الشطي (ص ٣٣)؛ و «منتخبات التواريخ لدمشق» للحصني (٢/٦٤١، ٦٧٥، ٨٥٧)؛ و «الأعلام» للزركلي (١/١٤٨)؛ و «أعيان القرن الثالث عشر» لخليل مردم بك (ص ١٤٥)؛ و «معالم وأعلام» لأحمد قدامة (١/١١٧)؛ «مجلة الفكر الإسلامي» مقالات للشيخ طه الولي (العدد ٣ - ٣/٩ سنة ١٣٩٢ - ١٩٧٢).

(٢) إن عائلة البربرير في الأصل بيروية الموطن، إلّا أن بعض أجدادهم انتقلوا إلى مصر، ونزلوا في بلدتي دمياط ورشيد، حيث زاولوا الأعمال التجارية. و «البربرير» كلمة إيطالية كانت تطلق على الحلاق الذي كان يمارس في نفس الوقت الفصد ويضع الضمادات ونحو ذلك من أعمال الطبابة الأهلية. وعائلة البربرير عُرفت قديماً باسم «آل القحف» ثم أهمل هذا الاسم واشتهر الاسم الجديد لأن أحد أجداد هذه العائلة كان يلازم حلاقاً يمارس الطب على عادة أهل ذلك الزمان يسمى «البربرير». «مجلة الفكر الإسلامي» (عدد ٣/٣ سنة ١٣٩٢).

مولده ونشأته :

وُلِدَ بدمياط سنة ١١٦٠هـ (١٧٤٧م) لأبٍ تاجر، ولَمَّا نشأ أخذ بطلب العلم، فحفظ القرآن الكريم صغيراً على الشيخ قاسم بن داود، ثمَّ لَمَّا بلغ اثنتي عشرة سنة حفظ ألفية ابن مالك، وحضر شرحها لابن عقيل على الشيخ عبد الحي بن فتح الله. وعند الثالثة عشرة تعلق بنظم الشعر، فصار يشبب ويتغزّل، فاعترض عليه في دعوى الصبابة بعض الأدباء، فأنشد:

لقد أنكر اللاحي سُجوني وصَبوتي لكوني صغيراً قلتُ لا تُنكروا الفضلا
رآني الهوى طفلاً فمأزَحَ مُهجتي ومِنَ عادةِ المَزَاحِ أن يَألفَ الطفلا
طلبه للعلم وشيوخه :

ثم حضر قراءة المنهج وتفسير البيضاوي على الشيخ محمد الدنهيجي، وجمع الجوامع على الشيخ عبد السلام أبي النصر، وتجريد الخطيب وابن قاسم مراراً على الشيخ عبد الحي، وقرأ عليه أيضاً مختصر السعد والسُّلَمَ للأخضري وغيره، وحضر على الشيخ مصطفى المحلي - الشهير بالسَّقَا - شرح الهدهدي وشرح اللقاني على الجوهرة، والاستعارات لعصام، وحضر على الشيخ أحمد البستاني في العرُوض والفرائض والأشموني على الألفية.

ومن شيوخه المصريين: الشيخ أحمد الجوهري المتوفى سنة ١٢١٤هـ، ومن شيوخه بل من أعظمهم مكانة في نفسه وتأثيراً على سلوكه وثقافته السيد محمد مرتضى الزبيدي «شارح القاموس» المتوفى بمصر سنة ١٢٠٥هـ، فقد أخذ عنه علم الحديث بمصر.

هجرته إلى بيروت :

وفي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) هاجر إلى بيروت موطن آباءه وأجداده بعد أن مرَّ بدمشق لفترة وجيزة، وفي بيروت تزوج ثم ما لبث أن طلق زوجته، فانضاف ذلك إلى غربته عن أهله، فأنشد معبراً عن حاله :

لقد غرّني إبليسٌ قومي بقوله تغرّب عن الأوطان في طلبِ المجدِ
كما غرَّ إبليسُ الشياطينَ أدماً وأخرجهُ بالمكرِ من جنّةِ الخلدِ

تقلّده القضاء والإفتاء في بيروت :

وقد طلب منه الأمير يوسف الشهابي أن يتولى الفتوى والقضاء في بيروت، فامتنع الشيخ البربير عن ذلك حتى أقنعه الأمير بالموافقة، غير أنَّ الشيخ وضع شروطاً لقبوله، فإذا أخلَّ الأمير بإحداها اعتزل المنصبين، وكانت الشروط هي :

- ١ - أن لا يتصدَّى الأمير للدعوى بعد أن يكون هو فصلها بمجلس قضاة، وأن يأمر بتنفيذها دون إبطاء.
- ٢ - إذا كانت الخصومة بين الأمير وبين أحد المواطنين العاديين، وكان الحكم ضد الأمير، فإنَّ على الأمير أن ينفذ ما أمر به الشرع الحنيف.
- ٣ - أن يبعث الأمير من قبله أحد أتباعه ويجلس في المحكمة لتحصيل ما على الدعوى من الرسوم المقررة بين القضاة.
- ٤ - أن لا يلتزم الشيخ البربير بارتداء الزيِّ المقرّر للقضاة من لبس العمامة والفرجيجة^(١).

(١) هي الجبة التي كانت خاصة بالقضاة تمييزاً لهم عن بقية العلماء. وهي منسوبة =

وقد نزل الأمير عند رغبة الشيخ وتعهده بالتزام الشروط التي طلبها. لكن الشيخ كان يتمنى أن يدخل الأمير بشرط حتى يتخلص من هذا المنصب الذي قبله على مضض، ولم يكن يخفي تبرمه وضيق صدره، فمما نظمه مُعبراً عن ذلك قوله:

قد عَدَلْنَا وما عَدَلْنَا بغيِّ
فشكا الناسُ حُكْمَنَا ولعمري
وحكْمَنَا بأمرِ ربِّ السماءِ
قلَّ مَنْ يرتضي بحكمِ القضاءِ
وقوله:

رمانِي زمانِي بما يجهدُ
وأوقفني في القضاءِ القضا
فمن ذا أرومُ ومن أقصدُ
وما كنتُ أحسبه يوجدُ
تراني لموتي الرّدى أحمدُ
وظيفةُ كَرِبٍ، لأثقالها
عدوّاً، إذا فاته المقصدُ
وحسبي انقلابُ صديقي بها
وظاهرها العزُّ والشُّؤدُ
فباطنها الذلُّ والابتلا
ولا أرتضيه، ولا أعمدُ
وإذ ليس دأبي ولا ديدني
أموراً خلاف الذي يَعْهدُ
وصعبُ على المرء تكليفُهُ

ولم تلق هذه المنظومات لدى الأمير أذن صاغية، مما اضطر الشيخ أن يوجه للأمير قصيدة مطولة ضمّنها رجاءه بإلحاح لإعفائه من هذا المنصب، واصفاً نفسه بالظلم وعدم الأهلية لتولي هذا المنصب، فمما قاله فيها:

= إلى السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من سلاطين المماليك الجركسية، ولي الحكم بمصر بعد أبيه سنة ٨٠١هـ، ثم عزل سنة ٨٠٨هـ، ثم أعيد إليه وانتهى به الأمر أن قتل سنة ٨١٥هـ.

وقد بَلَغَ السَّيْلُ أَعْلَى الرُّبَى
ولم ترَ إِشْرَاقَ فَجْرِ الدُّجَى
وفوقَكَ بِالْقَهْرِ قَاضِي السَّمَا
وتقوى على حَمَلِ حَقِّ المَلَا
ومرتبةٍ مَا لَهَا مَنتهى

تَبَّهَ أَخِي فَمَا ذَا العَمَى
تَوَارَيْتَ فِي جُنْحِ لَيْلِ الذُّنُوبِ
فكَيْفَ رَضِيَتْ تُرَى قَاضِيَا
وكَيْفَ عَجَزَتْ بِحَمَلِ القَمِيصِ
وَأَصْبَحْتَ بِالظُّلْمِ فِي غَايَةِ

وقال:

لمثلِكَ دَلَّتْ عَلَى مَا نَأَى
وَأَيْنَ الحُلِيِّ وَأَيْنَ الحُلَى
وقد أَنبَأْتِكَ بِذَمِّ القَضَا
فلا تنس «من حَامِ حَوْلَ الحَمَى»
على جَلْبِ مصلحةٍ يَرْضَى
عليهَا فدونكَ رَحْبَ الفَضَا
أحاطَ بِمَا كَانَ تَحْتَ الثَّرَى
وخصَّ الجِنِينَ بِطِيبِ العِذَا
وترك الحَرِيرَ ولبس العَبَا
يا غَافِلًا بِدِينِ الدُّنَى

أَمَا فِي الأَلَى سَلَفُوا عِبْرَةَ
فَأَيْنَ القَضَاةُ وَأَيْنَ المَلُوكُ
وَأَيْنَ الأَحَادِيثُ فِي سَرْدِهَا
فإن قَلَّتْ إِنِّي أَمْرٌ عَادِلٌ
درءُ المَفَاسِدِ تَقْدِيمُهُ
وإن قَلَّتْ إِنِّي أَمْرٌ مَكْرَهُ
وكلُّ مَنْ تَخَلَّفَهُمُ لِلذِّي
فقد رَزَقَ الطَيْرَ فِي وَكْرِهِ
وعشَّ بِالسَّيْرِ وَأَكَلَ الشَّعِيرَ
فذلك أَهْوَنُ مِنْ بَيْعِ دِينِكَ

فلما أن اطلع الأمير يوسف الشهابي على هذه الأبيات دخلت قلبه خشية الله، فبادر إلى إعفاء الشيخ من القضاء وعيّن له مرتبًا يكفيه، فامتدحه الشيخ البربري بقوله:

له بَنَانٌ ضَاقَ عَنْهَا الفَضَا
وقد كَفَانِي اللهُ شَرَّ القَضَا

أَمِيرُنَا أَكْرَمٌ مِنْ حَاتِمِ
بِحَلْمِهِ أَدْرَكْتُ مَا أَشْتَهِي

وقال أيضًا:

أَمِيرٌ عَظِيمٌ لَهُ رِتْبَةٌ عَلَى غَيْرِهِ صَعْبَةٌ مُرْتَقَى
قَصْرَتْ ثَنَائِي عَلَى وَصْفِهِ وَأَعْطَيْتُهُ فِي الْوَرَى مَوْثِقًا
وَلَا غُرُوفِي كَوْنِهِ وَارثًا ثَنَائِي دُونَ الْوَرَى مَطْلَقًا
فَقَدْ أَعْتَقَ الْقَلْبَ مِنْ كَرِبِهِ وَصَحَّ الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَا

وبعد ذلك أنشأ مكتبًا (كُتَّابًا) لتعليم الأولاد قانعًا بما يناله منه من الرِّزْق الكفاف، إلا أنه لم يسدَّ حاجته، وافتقر.

انتقاله إلى دمشق:

وفي سنة ١١٩٥هـ تعرضت بيروت لعدوان من قراصنة روس مما حمل أهلها إلى النزوح عنها إلى حيث يجدون الأمن والطمأنينة. فعزم الشيخ على الرحيل إلى دمشق ورغب في سكنها، ورأى أنها خير البلاد. فلما قصدها نزل ضيفًا على الشيخ محمد بن خليل المرادي^(١) مفتي دمشق، فلما دخل عليه مدحه بقصيدة طرب لها ورفع شأنه عنده فأكرمه وشمله برعايته.

ثم سكن الصَّالِحِيَّة واستقرَّ بها وأعجب بها غاية الإعجاب، وذكرها بشعره مادحًا يقول:

قَدْ ظَفَرْنَا بِعَيْشَةٍ مَرْضِيَّةٍ مُذْ حَلَلْنَا فِي جَنَّةِ الصَّالِحِيَّةِ
وَرَأَيْنَا الزَّهْوَرَ تَبَسُّمَ لَطْفًا عَنِ ثَنَائِيَا مِنَ النَّدَى لَوْلُؤِيَّةِ
وَجَوَارِي السَّحَابِ جَلَّلَتِ الْأَرَى ضَّ بَبْسُطٍ مِنْ غَزَلِهَا سِنْدِسِيَّةِ

(١) مؤلف كتاب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» المتوفى سنة ١٢٠٦هـ.

رقص الماء من غنا الطير حتى
وجه روض يريك نجل عيون
وقدوداً من الغصون نشاوى
حبذا حبذا معاني مغان
نفظته أوراقها الزهبيّة
وحدوداً من زهره عندميّة
من طلا الطل بكرة وعشيّة
كبروج حوت نجومًا مضيّة

وبعد استقراره بدمشق تزوج مرة ثانية، ولكنه لم يرزق من زواجه هذا بولد، وتوفي رحمه الله ولم يترك ذرية.

مقتطفات من شعره :

للشيخ أحمد البربر شعر كثير ضمنه كتبه، وفي رسالتنا التي نقدّم لها شيء من ذلك. ومن جميل ما قال، قوله في التوحيد:

لقد آمنْتُ بالله وأصبحْتُ به آمِنُ
هو الأوَّلُ والآخِرُ والظاهرُ والباطِنُ
وقوله في كبح الشهوات:

إنَّ الذينَ يجاهدون النفسَ شبَّانًا وشيئا
مَنَ الإله بنصرِهِم وأثابهم فتحا قريبا

وقال مادحًا أهل دمشق مضمناً كلامه أسماء بعض كتب الحديث

النبوي:

رعى الله في الدنيا أفاضلِ جِلَّتِي فكم عمّني منها سرورٌ وإكرامُ
أناسٌ وجدنا من شمائلها الشفا مصابيحُ هدي عَيْنُ مشكاتها الشامُ^(١)

(١) قوله: «الشفا» يقصد به كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وقوله: «مصابيح» يقصد به كتاب مصابيح السنة للإمام البغوي، وقوله: «مشكاتها» يقصد به كتاب مشكاة المصابيح للإمام التبريزي.

وقال يهجو شاعرًا ويعيره بسوء ظنه :

سمعتُ شِعْرَ شاعرٍ يُشبهُ صوتَ الجُلجُلَةِ
ألفاظُهُ مُهملةٌ لكنَّهَا مُستعملةٌ

شيوخه بدمشق :

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم بدمشق: المحدث الشيخ محمد الكزبري (المتوفى ١٢٢١هـ)، والشيخ أحمد العطار (المتوفى ١٢١٨هـ)، والشيخ حسين المدرس (المتوفى ١٢٢٠هـ)، والشيخ مصطفى الصلاحي (المتوفى ١٢٦٥هـ)، وغيرهم من علماء ذلك العصر في دمشق والوافدين عليها.

تلاميذه :

لقد كان لما بلغه البربر من مكانة رفيعة في العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها الأثر بأن يقصده طلبة العلم لينهلوا من معين علومه وغزير أدبه .

فممن تلقى عنه :

– الشيخ عبد اللطيف فتح الله، الذي تسلم الفتوى ببيروت مدة طويلة حتى غلب عليه لقب «المفتي»، وأصبح هذا اللقب عَلَمًا عليه وعلى عائلته من بعده حتى اليوم، توفي ببيروت سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م).

– الشيخ أحمد الأغر، الذي تولى القضاء والإفتاء ببيروت أيضًا، توفي بها سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م).

– الشيخ قاسم بن محمد تلحوق من عائلات مشايخ الدروز.

— الشيخ قاسم بن بشير جنبلاط من زعماء العائلات الدرزية .

مما قيل فيه :

ترجم له الشيخ عبد الرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» قائلاً:
«سهم الأغراض والأمانى، وكنانة البيان والمعاني، ذو الأدب الباهي
الباهر، والأرب الزاهي الزاهر، والنفس الزكية، والأخلاق المرضية، مَنْ
تستعذب النفوس نثره، وتستطيب نظمه وشعره، . . . أقبل على الترقى
بهمة قوية إلى أن صار فردًا يشار إليه، وعمدة في المشكلات يُعتمد عليه،
وشهد له مشايخه بالفضل، وإنه لما يُثنى عليه به مستحق وأهل . . .» .

وقال عنه الشيخ محمد جميل الشطي في كتابه «روض البشر»:
«العالم الفاضل، الأديب الشاعر، المُجيد المُفلق، الناظم النائر، المفنن
الأوحد» .

وقال عنه الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي في رحلته «نفحة البشام
في رحلة الشام»: «السيد أحمد البربير عالم فاضل نحير، من كبار العلماء
المشاهير، له مؤلفات جلية، ومصنفات جميلة، في العلوم العربية،
والفنون الأدبية» .

وذكره تلميذه مفتي بيروت العلامة عبد اللطيف فتح الله في ديوانه،
حيث قال مادحًا جنابَ قُرّة عين الأُدباء الكرام، وواسطة عقد الجهابذة
الفخام، حضرة شيخه السيد أحمد البربير، وكان إذ ذاك حضرَ من دمشق
الشام سنة ١١٩٨هـ^(١):

(١) «الديوان» (١/٤٩، ٥٠)، وقد ذكره مادحًا له في مواضع منه (١/٥٢، ٥٥،
٦٠ - ٦٢، ٦٦، ٧٠، ٧٧، ٧٨) .

شَمْسُ الْكَمَالِ كَسَا بَيْرُوتَنَا حُلَلًا
غَزَالُ سِرْبِ غَزَا الْأَلْبَابِ نَاظِرُهُ
بَدْرُ الْجَمَالِ جَمَالُ الْبَدْرِ حَلَّ بِهَا
الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ عَقْدُ الْمَجْدِ مَنْ نُظِمَتْ
وَمَنْ سَمَا فِي سَمَاءِ الْعِزِّ مُرْفِعًا
الْأَلْمَعِي حَسَنُ الْأَفْعَالِ ذُو حَسَبِ
أَعْنِي بِذَا أَحْمَدَ الْبَرِّيرِ مَنْ جُمِعَتْ
نَسْلُ الْأَكَارِمِ بَحْرٌ مِنْ مَكَارِمِهِ
كُلُّ الْمَحَاسِنِ نُورٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ
لَهُ حَدِيثٌ غَرِيبٌ التَّظْمِ سَلْسَلُهُ
هَذَا هُوَ الْكَوْكَبُ الزُّهْرِيُّ الَّذِي مُحِيتْ
شَبَهَتُهُ الْبَدْرُ لَكِنْ لَيْسَ يُشْبِهُهُ
هَذَا الَّذِي قَدْ حَوَى حِلْمًا بِلَا شَبِهٍ
هَذَا الَّذِي هَامَ قَلْبِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ
تَبَسَّمَ الدَّهْرُ مِنْ فِيهِ بِهِ فَرِحًا
يَمَّمُ حِمَاهُ لِتَجْنِي مِنْ بَدَائِعِهِ
وَأَفْصَدُهُ تَهْدِكَ نِيرَانَ الْقِرَى سُبُلًا
وَلَا تَكُنْ غَافِلًا عَن فَيْضِ رَاحَتِهِ
لَا زَالَ طَالِعُهُ بِالسَّعْدِ مُقْتَرِنًا
مَا هَزَّ غُصْنَ الرُّبَى رِيحٌ وَمَا نَشَدَتْ

مِنْ نُورِ طَلْعَتِهِ لَمَّا حَلَا وَحَلَا
وَتَوْبُ سُقْمِ لَجْسِمِي بِالْهَوَى غَزَلًا
قَدْ حَلَّ بُرْجِ الْعُلَى وَالْعِزِّ مُكْتَمَلًا
بِهِ الْفَضَائِلُ حَتَّى زَيْنَ الْفَضَلَا
فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى أَوْجِ الشَّهَى وَعَلَا
عَلِيٌّ قَدْرَ عَلَى أَمْثَالِهِ كَمَلًا
فِيهِ مَزَايَا بِهَا قَدْ نَبُلُغُ الْأَمَلَا
إِكْرَامٌ وَافِدِهِ إِنْ نَحْوَهُ وَصَلَا
لَمَّا عَلَى الْحُسْنِ مِنْ دُونِ الْوَرَى أَشْتَمَلَا
بِكُلِّ مَعْنَى لَطِيفِ حَيْرِ الْعُقَلَا
عَنَّا الْغُومُ بِهِ لَمَّا الْهُمُومُ جَلَا
فَذَا يَغِيبُ وَهَذَا قَطُّ مَا أَفَلَا
لِأَنَّهُ مِنْ كَمَالِ الْحِلْمِ قَدْ جَبَلَا
شَجَا، فَيَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ لَنَا عَدَلَا
يُشِيرُ لِي أَنَّهُ قَطْبُ الزَّمَانِ بِلَا
دُرِّ الْعُقُودِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْأَجَلَا
لِرُبْعِهِ الْمُعْتَلَى مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسَلَا
فَلَيْسَ يَنْكَرُ ذَا، إِلَّا الَّذِي جَهَلَا
يَزِيدُهُ رِفْعَةً، لَا تَنْتَهِي، وَعَلَا
شَمْسُ الْكَمَالِ كَسَا بَيْرُوتَنَا حُلَلًا

مؤلفاته :

ترك الشيخ أحمد البربر مؤلفات عدة منها :

- ١ - تشطير البردة.
- ٢ - شذور الياقوت والمرجان فيما حواه اسم سليمان من الفضائل الحسان، وهو في تاريخ سليمان باشا الملقب بالعدل والي عكا.
- ٣ - الفصيحة العجما في الكلام على حديث «أحب حبيبك هوناً ما»، وهي الرسالة التي بين أيدينا.
- ٤ - اقتباس آي القرآن في مدح عين الأعيان، وهي اقتباسات شعرية في بعض آي الذكر الحكيم في مدح صديقه السيد عبد الرحمن العمادي المرادي مفتي الأحناف بدمشق.
- ٥ - دلائل الإعجاز في الأحاجي والمعمى والألغاز، وهي رسالة ألفها برسم الأمير حسن الشهابي، وبدأها بالمعنى باسم حسن. النسخة الأصلية منها محفوظة بمكتبة الأسد بدمشق ضمن مجموع رقم ١٠٠٤٩، (١٧٨ أ - ١٨١ ب).
- ٦ - قصيدة بديعية، وهي منظومة شعرية شرحها شيخه الشيخ مصطفى الصلاحي.
- ٧ - مقامات البربر، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة.
- ٨ - تحقيق ظهور المهدي، ألفها سنة ١٢٢٣هـ.
- ٩ - سيرة حياته الذاتية بقلمه.

١٠ - زهر الغيضة في ذكر الفيضة، رسالة وصف فيها فيضان نهر بردى الذي أغرق دمشق سنة ١٢٠٦هـ، طبعها الشيخ محمد أحمد دهمان.

١١ - مفاخرة بين الماء والهواء، وهي مقامة طريفة أوردتها الشيخ عبد الرزاق البيطار كاملة في «حلية البشر»، وطبعت على حدة عدة طبعات^(١).

١٢ - الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ، وهو موسوعة ضخمة تناول فيها المؤلف عشرات الموضوعات من العلوم والمعارف في أبواب اللغة وفنون الأدب والشعر والفقه والتفسير وغيرها، وذلك من خلال شرحه لبيتي شعر قالهما الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم الموصلي المتوفى ١١١٨هـ، وهما:

إن مرّ والمرأة يومًا في يدي من خلفه ذو اللطف أسمى من سما
دارت تماثيلُ الزجاج ولم تزلْ تقفوه عَدُوًّا حيث سار ويمّما
وقد ألف البربير هذا الكتاب استجابة لطلب صديقه محمد بك العظم
الذي سأله شرحهما وحل رمزهما.

والكتاب طبع سنة ١٣٠٢هـ بالمطبعة الأدبية بيروت تولى طبعه الشيخ محمد بن عمر البربير، ثم أعاد طبعه مرة ثانية الطبيب نسيب البربير مؤسس مستشفى البربير بيروت لدى المكتب الإسلامي.

(١) من آخر طبعاتها إيرادها ضمن مجموعة رسائل في بابها بعنوان «المفاخرات والمناظرات» قام بتحقيقها الأخ الأديب الدكتور محمد حسن الطيان، وطبعت بدار البشائر الإسلامية سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وفاته ورثاء تلميذه له :

تُوفِّيَ الشيخ البربر رحمة الله تعالى بالصالحية بدمشق ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة ختام سنة ١٢٢٦هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون في مدافن بني الزكي .

وقد رثاه تلميذه، مفتي بيروت، الشيخ عبد اللطيف فتح الله حيث قال^(١):

ما للحمائم لا تكاد تطير؟ ما للجبال الشامخات تدكدكت،
وأبو قبيس قد هوى وثبيرُ ما للنفوس تكاد تزهق لوعةً،
ولها شهيقٌ قد علا وزفيرُ ما للعيون دموعها مصبوبةٌ
مثلُ الدماءِ على الخدودِ سيرُ فكأنها، حُمراً وسوداً، أحرفُ
لكنها فوق الخدودِ سطورُ ما بال قلبى قد تلهب حُرقةً
من أين فيه جهنمٌ وسعيرُ ما للنجومِ غربنٌ وهي طوالعُ
جُنع الدجى، وخسفنٌ وهي بدورُ ما للشموسِ لبسَنَ في رَأدِ الضحى
ثوبَ الكسوفِ وما لهنَّ ظهورُ ما للجنانِ تزخرفتُ ثم اغتدى
منها يلوحُ منازلٌ وقصورُ وتزيّنتِ ولدانها وتقلدتُ
عقدَ الجواهرِ في النحورِ الحورُ فعجبتُ من هذا وقلنا حادثُ
في الكونِ بانٌ وإنه لكبيرُ فأجبتُ: لا تذهل، وقيل لي: انتبه
فاليومَ ماتَ العالمُ النحريرُ شيخُ الجهابذِ والأفاضلِ مفرداً
نجمُ العلومِ الجهبذُ المشهورُ

(١) «ديوان عبد اللطيف فتح الله» (١/ ٣٧٥، ٣٧٦).

بدرُ الشريعة والطريقة والهُدَى
 بحرُ المعارف ما له من ساحلِ
 ربِّ الفطانةِ والفُهومِ مع الذكا
 عنه الحديثُ سماعُهُ قد ينبغي
 وكذا الأصولُ، وكلُّ فنٍّ ينتمي
 كم قلبِ علمٍ سرُّه تأليفُهُ
 مولَى القوافي قد تملك أمرها
 فيها تصرفَ كيف شاء، وصاغها
 من كلِّ معنى ليس مسبقاً له،
 من كلِّ مختَرعٍ يسيلُ بلاغةً
 ما البحرِيُّ لديه؟ ما سحبانُ؟ ما
 فيه أُصبنا، والمصائبُ جمَّةٌ،
 لا بدعَ إن ذهبَ الكرامُ فإنما
 يا ليت أعمارَ الكرامِ مديدةً،
 يا ويحَ بيروتِ وقلةَ حظها،
 لكن لها فخرٌ به لا ينتهي
 أرواحنا، لو كان فيها يُفتدى،
 لكن فناءَ الخلقِ حُكمٌ نافذٌ
 ما كان في الدنيا خلودٌ لامرئٍ
 لو كان فيها لم يمت فيها امرؤٌ
 فاللَّه يلهمنا الرضاءَ بحكمه
 والحكم للَّه العليِّ وإنما

شمسُ الحقيقة: أحمدُ البربرُ
 منه استمدَّت في الأنامِ بحورُ
 في طوعه التحقيق والتحريرُ
 والفقهُ، والتوحيدُ، والتفسيرُ
 للنقل أو للعقل، وهو شهيرُ
 وأقرَّ منه طرفه تقريرُ
 فأطاعه المنظومُ والمنثورُ
 صوغاً على الاتقان ظلَّ يدورُ
 كلاً، ولا بسواه فيه شعورُ
 ويكاد في سحر البيان يطيرُ
 نحو الفرزدقِ عنده وجريرو
 منها العظيمُ، كموتِه، وحقيرُ
 عُمرُ الكرامِ من الأنامِ قصيرُ
 ويكونُ فيها الطولُ والتأخيرُ
 هيهاتَ منها مثله ونظيرُ
 يفنى الزمانُ وماله تغييرُ
 جُذنا بها، وبها الفداء يسيرُ
 لم ينبجُ منه كبيرُنا وصغيرُ
 ظنُّ الخلودِ جهالةٌ وغرورُ
 بل لم يكن للأنبياءِ قبورُ
 والصبرَ عند الرُّزءِ، فهو قديرُ
 خيرُ المصابِ مُسلِّمٌ وصبورُ

أودى، فراح إلى الجنان يسيرُ
بضريحٍ محيي الدين وهو منيرُ
نعمَ الجوارُ، وكم له تأثيرُ
ما غرّدت فوق الغصونِ طيورُ
ما للحمائمِ لا تكادُ تطيرُ

في صالحيةٍ جَلَّتِ ورياضِها
وضريحُه في روضةٍ قد أنورت
بجواره قد حلَّ وهو ضجيعُهُ
فعليه رضوانٌ ورحمةٌ ربِّه
أو ما ابنُ فتح الله أنشدَ رائيًا



بسم الله الرحمن الرحيم

المحمدية الذي تفرق نبي بالاحسان بعد ماتكرو واحاط علمه بكل معلوم فاستوي عند
 انظاره والحضر والصلوة والسلام على من ارشدنا الى صلاح المعاش والمعاد وكانت
 بالمؤمنين رحيماً ارحم بهم من الوالدين بالاولاد وعليه الواجبات الذين قابلوا شرب
 امره بالامثال فانضى نعم ذلك الي قضا حقيقته الهدى من مجاز السلاله اما بين
 فقد تأملت في حديث اريب حيكه هونا ما فرجته من جوامع الكلم التي قد انتجت
 سعاني يا خال الله بع بالايافاز الوجد الاغيار حتى لو سببه تسون بسعدة او نجح
 وابل لا مع كل منة سماه سانية ورثته نعا نية اى من باقل ولا بدع في ذلك اذا كان
 من كلام من اوتي جوامع الكلم واخصر له الكلام اختصارا وجعل الله كتابه
 القرآن اخصر كتابه فتحدى باقصر سورة منه مصارع ابلغها حتى اقر وايا نجرحت
 الايمان مثله جبارا وقانوات ده مشتم من سعانية التي لا تندى الا غير ان هذا الاصح
 يد شرفه في اليه بفتح ابيه اسماعيل بعد انه را سنا وهدم قواعدها وراسا سيد
 مشيد سنيا سنا وشيت الازانفا وافلخر من سعيتها ما دقق منه صدور الهدى تسير
 ولا يحظر به الا سلكه من قرب اورسول حتى كان لا يجاب احد الا بلمنه مقوم من
 العرب ان وحكيه في ذلك ما اتي به من عرب اللفظ في حديث زبان لا لا ان عرب
 دقت به لسان ورواه ضيان ففضل الله عليه وعليه رجمه في جميع حال الازفة
 ومستقبلها عدد كلمات اللفظ العربية مجديا ومستعملها وماريات هذا الحديث
 ثم نزل في الا بقوله اشرب القديم من الشوة والطرب بالنديم كبت فام هذه
 انزاله فترسلوا بها الى صاحب اوسيلة والزمانه وسيتنا انصهية العجا في الكلام
 حديث اريب حيكه هونا ما والله المسبول ان بين يديها باقوله فاقوله اعلم
 النبي فمر رات الشمس الميدان ذكرها الحديث في اشائه وقال كفا في انه مثل سنة
 امثاله اشرب ولا بناقصة فقد ثبت انه عليه وسلم ثم اشرب يا امثاله اشرب
 فلها ما اتى عليه سناء كنهه الحديث ونفاما اخرج من عنده الذي وضع له
 بارادة سخن اخر كقولهم اشربا ما ظالما او مظلوما وذلك لان الجاهلية كانت
 تترك نصرة آله وان كان ظالما فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما ارادته
 واراد نصرة الا في الظالم ولا يسه على الحق واعلامه انه ظالم فاذا فعل لنا عليه
 ذلك فقد نصره على هوى نفسه وسببانه ورضبه وقوله في الحديث اريب
 امر ارشاد لا امر تدب لان المتصوذين نفع الخالم في الدنيا قال ابن ابي شيبة
 في حاشيته عليه جمع الجوامع قال الرازي السبكي اشرف بيت النب والارضا
 ان النب دلوب لنواب الاخرة والارضا لثنا لثنا لا يتعلق بها
 نواب النب لانه فكل متعلق بغرض الفاعل ومصلحة اهل قبلت وعدا
 لا ياتي ترتب النواب لا مرشدا كما ذكره وانوم بقصد الشكر عليه السلام

صورة الورقة الأولى من المخطوط

اذا استعملت في حالة الجحد أثبتت وان أثبتت قامت مقام جملة
 وما يريد ما ذكره ما ذكر ان ذال الرمة وهو عيالات صاحب مئة ما اشد قوله
 اعترضه السامعون ان لا يثبتوا انما اتهاق ونفها الخبات وان الوراق في بيته سفي نكر
 مشتا ويعبر المعين ان ترسيس الهوى قد زال من حب نية منع ان مراده دعوى
 ذهابه وان ذال الرمة لما سمع اعترافهم سلم فخير قوله لم يكدهم بلم تحدد وقار
 المحققون ان كاذب كغيرها من الاحوال لثباتها وان المعترض من خطي وان
 ذي الرمة له خطأ والصواب بقا ثبتت عليه ما عر عليه ويكون معناه لم يقرب
 ريسس الهوى من الزوال اذ ان الرجب المحبين من انعام بل قوله ابلغ من قوله
 يروح ريسس الهوى وذلك لان تقاربه المرزوان اذ ان تخت فالرؤوس
 باب اولي وبذلك قوله ما اذا خرج يده لم يكدهم بها وهو في الاية ابلغ من
 لما عرفت لان من لم ير قد تقارب الروية وقالوا ان عسي لا يكون من الله تعالى
 الا واجبة ومثلها العلة لا يستحالة التوج والطلع عليه ثبات التحقيق ان عسي
 اذا وقعت في كلامه تعالى كانا علم معناه اني صلي وهو التوج والطلع ويكون
 ذلك بالنسبة الى المناطين لا بالنسبة للتكلم كما قال تعالى لوسي وعازون عليه
 السلام فقوله لا تقولا لنا علم يتذكر او يخشى والمعين ان كلاهما تذكروا وخشيت
 متوقفة ونظرون كما والذكي في علمي التدم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ارسلتمنا
 ليلا يكون للناس علمي الله حجة بعهد الرسل وقوله في الحديث وانفص بغض
 بهزة القطع لان رباعي يقال انفص زيد عمر اقال في المباح قالوا ولا يقا
 بغضه بغير اني اعرفت وتعبيره بغضه التبري تشرحه الى ان بغضه لغف
 اقول ويشهد له ما في الحديث وهو قوله بغضك لان صفة فطر لا تصح الا من
 ثلثي لكن الاثب في الحديث ان يكون رباعيا ويكون هزلة هزلة قطع لثبات قوله
 قوله احبب والا يخفى ان المشاكلة من انواع البدع وفي الحديث ايضا من الانواع المبر
 الطباقي بين قوله جيكر وبغضك واجب وانفص وفي الاشتقاق بين احب وجب
 وانفص وبغضك وفيه التزايد وهو الاثبات بلهظة لا يتقوم غيرها مقامها وهي في
 الحديث لفظ ما وفيه الانسجام والا يماز وفيه الموازنة بين قوله احب جيكر
 وانفص وبغضك وفيه المماز كما عرفت مما تقدم ففده ثمانية انواع من البدع وفيه
 غيرها وامارتبة هذه الحديث فالخبر كما ذكره العزيمي عن شيخه واعلم ان الحديث
 احبب قسما حسن الطيرة وهو ما في رجاله مستور لم يمتنع اهلية وليس بمفتر
 هو ستم وعرف منه بان يروي من وجه اخر والثاني حسن لذاته وهو ما كان
 راويه شورا بالصدق لكنه يقصر عن اجاز التصحيح في الحفظ وهو مرفق عزا
 ما يحده تفرد منكر والله اسأل ان يمن عليا بحبه وحب من من عليه
 وان يحفظنا مما يوجب بغضه من الاثام وان يتخذ علينا ويحب اجابنا بحسن
 الاثام وقد قويت هذه الشوارد بالكتابة خوفا من شرودها على الاقرار
 تسلبت والاموال التي تسلبت وكفى بعضنا هذا عذرا لكل مستدر وعظيمة
 تذكر نسال الله في العانة والذرايم وحفظ الدين وحسن الكرامة فوسيلة
 للاخبار ختام عليه السلام كما انضرت نسخة والاسلام

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١٠)

الْفَصِيحَةُ الْعَجَبَا

فِي الْكَلَامِ عَلَى صَدِيقِ

أَحَبِّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا

تَأَلَّفُ

السَّيِّحُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّطِيفِ الْبَرْبَيْرِ الْحَسَنِيِّ الْبَيْرُوتِيِّ

(١١٦٠ - ١٢٢٦ هـ)

تَحْقِيقًا

مِنْ سَعِيدِ الدِّينِ مَشْفِقِةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ الذي تعرَّفَ للمسيءِ بالإحسان بعدما تنكَّرَ، وأحاط علمه بكل معلوم فاستوى عنده الظاهر والمُضمَر؛ والصلاة والسلام على مَنْ أرشدنا لإصلاح المعاش والمعاد، وكان بالمؤمنين رحيمًا أرحمَ بهم من الوالدين بالأولاد، وعلى آله وأصحابه الذين قابلوا شريف أمره بالامثال، فأفضى بهم ذلك إلى قضاء^(١) حقيقة الهدى من مجاز الضلال.

أما بعد، فقد تأمَّلتُ في حديث: «أحب حبيك هونًا ما..» فوجدته من جوامع الكلم التي قد انتهت معاني بيانها البديع بالإيجاز إلى حدِّ الإعجاز، حتى لو سمعه قُسُّ بن ساعدة^(٢) أو سحبان بن وائل^(٣)، لأصبح

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: قضاء.

(٢) قس بن ساعدة بن عمرو، من بني إياد، أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، يضرب به المثل يقال: أبلغ من قس. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكلًا على سيف أو عصا. طالت حياته فكان من المعمرين، أدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ، توفي نحو ٢٣ ق. هـ. الأعلام ١٩٦/٥، مجمع الأمثال ٩٩/١.

(٣) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة، خطيب يضرب به المثل في البيان. يقال: أخطب من سحبان وائل، وأفصح من سحبان. اشتهر في الجاهلية وعاش زمنًا في الإسلام. كان إذا خطب لم يُعد حرفًا ولم يتلثم ولم يتوقف ولم يتفكر =

كلُّ عند سماع مَبَانِيهِ وَرِقَّةَ مَعَانِيهِ أُعِيىَ مِنْ بَاقِلٍ^(١)، وَلَا بَدَعَ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ مِنْ كَلَامٍ مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَاخْتَصِرَ لَهُ الْكَلَامُ اخْتِصَارًا^(٢)، وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كِتَابَهُ، فَتَحَدَّى بِأَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْهُ مِصَاقَ الْبُلْغَاءِ؛ حَتَّى أَقْرَأُوا بِالْعَجْزِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ جِهَارًا، وَقَالُوا مِنْ دَهْشِهِمْ مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصُرُ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].

وَجِيءَ إِلَيْهِ بِلُغَةٍ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ بَعْدَ انْدِرَاسِهَا وَهَدْمِ قَوَاعِدِهَا وَأَسَاسِهَا؛ فَشَيَّدَ بِنِيَانِهَا، وَثَبَّتَ أَرْكَانَهَا، وَأَظْهَرَ مِنْ سَعَتِهَا مَا تَضَيِّقُ عَنْهُ صُدُورُ الْفُحُولِ وَلَا يَحِيطُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مَقْرَّبٌ أَوْ رَسُولٌ، حَتَّى كَانَ لَا يَخَاطَبُ أَحَدًا إِلَّا بِلُغَةٍ قَوْمِهِ مِنَ الْعُرَبَانِ، وَحَسْبُكَ فِي ذَلِكَ مَا أَتَى بِهِ مِنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ فِي حَدِيثِ زَبَّانٍ^(٣)، لِأَنَّهُ أَغْرَبَ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانٌ وَوَعَاهُ جَنَّانٌ.

= بل كان يسيل سيلًا. أسلم زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، ثم أقام بدمشق أيام معاوية. توفي سنة ٥٤هـ. الأعلام ٧٩/٣، مجمع الأمثال ٢٢٨/١.

(١) هو مثل يُضْرَبُ لِمَنْ أَعْيَاهُ الْكَلَامُ، وَبَاقِلٌ رَجُلٌ مِنْ رِبِيعَةَ بَلَغَ مِنْ عِيَّهِ أَنَّهُ اشْتَرَى ظَبِيًّا بِأَحَدِ عَشْرِ دَرْهَمًا فَمَرَّ بِقَوْمٍ فَقَالُوا لَهُ: بِكُمْ اشْتَرَيْتَ الظَّبِيَّ؟ فَمَدَّ يَدَيْهِ وَمَدَّ لِسَانَهُ يَرِيدُ أَحَدَ عَشْرِ فَشَرَدَ الظَّبِيَّ وَكَانَ تَحْتَ إِبْطِهِ. مجمع الأمثال ٤٤٧/١.

وَالْمَعْنَى: أَنْ يُجَازَ كَلَامَهُ ﷺ وَإِعْجَازَهُ لَوْ سَمِعَهُ قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ، وَسَحْبَانَ وَائِلَ وَهُمَا مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ لِسَكْتَا وَعَجْزَا عَنِ الْكَلَامِ.

(٢) فِي هَذَا إِشَارَةٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ح ٢٩٧٧، وَمُسْلِمٌ ح ٥٢٣، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ». وَمَا رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي سَنَنِهِ ١٤٤/٤ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ، وَاخْتَصِرَ لِي الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا».

(٣) هُوَ زَبَّانُ بْنُ قِسْوَرَ الْكُلْفِيُّ، صَحَابِيُّ مُخْتَلَفٌ فِي اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، حَدِيثُهُ عِنْدَ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي «الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ» ١٠٨٥/٢ - ١٠٨٦ (طبعة دار الغرب =

فصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه في جميع حال الأوقات ومستقبلها، عدَّد

الإسلامي ١٤٠٦هـ - تحقيق د. موفق عبد القادر) قال الدارقطني: حديثه منكر الإسناد.

ثم ساق إسناده فقال: حَدَّثَنَا الحسن بن رشيْق بمصر، حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بن يحيى بن جَرِير الهمْدَانِي، حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عبد الله بن مُحَمَّد الْبَلَوِّي، حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بن زَيْد الأنصاري من الأوس من ساكني تَيْمَاء، حَدَّثَنِي إبراهيم بن سعد، عن مُحَمَّد بن إسحاق، حَدَّثَنِي يحيى بن عُروَةَ بن الزبير، عَنْ عُروَةَ بن الزبير، عن زَبَّان بن قَسْوَر الكُلْفِي، قال: رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وهو نازِل بوادي الشُّوْحَط ومعه رَجُلٌ دونه في هَدْيِهِ وَسَمْتِهِ، إِذَا كَلَّمَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالَ، أَوْماً إِلَيْهِ أَنْ اقْتَصَرَ، وَإِذَا كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا سَمِعَهُ وَفَهَمَهُ قول رسول الله ﷺ، فقلت لبعض أصحابه: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا صاحبه الأخص أبو بكر الصديق، فَكَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقلت: إِنَّ لَوْبًا لَنَا نَحَلًا كَانَ فِي عَيْلِمَ لَنَا لَهُ طِرم وشبرق، فجاء رَجُلٌ فَضْرَبَ مَيْتَيْنِ فَأَنْتَجَ حَيًّا وَكَفَّنَهُ بِالثَّمَامِ فانحسر فطار اللُّوبُ هارِبًا وَدَلَى مشواره في العَيْلِمِ، فاشتار العَسَلُ فمضى به. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ من سَرَقَ شبرق قوم فأَصْرَبَ بهم، أَفْلا تَبْعْتُمْ أئْرَهُ، وَعَرَفْتُمْ خْبْرَهُ». قال: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ دَخَلَ فِي قوم لهم مَنَعَةٌ وهم جِيرَتَنَا مِنْ هُدَيْلٍ. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ، تَرَدَّ نَهْرُ الْجَنَّةِ وَإِنَّ سَعَتَهُ كَمَا بَيْنَ اللَّفِيْقَةِ وَالشُّجَيْقَةِ يَتَسَبَّبُ جَرِيًّا بَعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قِذَاهُ، مَا تَقِيَاهُ لُوبٌ وَلَا مَجَّهُ ثُوبٌ».

وقال الدكتور موفق، محقق «المؤتلف والمختلف»: لم أفق على معظم ألفاظه الغريبة معنى ولا لأسماء الأمكنة تعريف.

قال حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البرِّ في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٥٨٧/١ (بهاشم الإصابة): حديثه غريب، فيه ألفاظ من الغريب كثيرة، وهو عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عنه، وهو حديث ضعيف الإسناد، ليس دون إبراهيم بن سعد من يُحتجُّ به فيه، وهو عندهم منكر.

كلمات اللغة العربية مهملاً ومستعملها .

ولمَّا رأيتُ هذا الحديث قد فعل بي ما لا يفعله الشراب القديم، من
النشوة والطرب بالنديم، كتبتُ عليه هذه الرسالة متوسِّلاً بها إلى صاحب
الوسيلة والرسالة، وسمَّيتها:

الفصيحة العجما

في الكلام على حديث «أحب حبيبك هوناً ما»

والله المسؤول أن يمنَّ عليها بالقبول، فأقول:

اعلم أنّي قد رأيتُ الشمس الميّداني ذكر هذا الحديث في أمثاله^(١).
وقال الخطّابي: إنه مثل من أمثال العرب. ولا مناقضة؛ فقد ثبت أنه ﷺ
تمثّل كثيراً بأمثال العرب، فمنها ما بقي على معناه كهذا الحديث، ومنها
ما أخرجه عن معناه الذي وُضِع له بإرادة معنَى آخر، كقوله: «انصر أخاك
ظالمًا أو مظلومًا»^(٢)، وذلك لأنَّ الجاهلية كانت ترى نُصرة الأخ وإن كان
ظالمًا، فاستعمله النبي ﷺ في غير ما أردت، وأراد بنصرة الأخ الظالم
دلّالته على الحق وإعلامه أنه ظالم. فإذا فعل الفاعل به ذلك فقد نصره
على هوى نفسه وشيطانه وغضبه.

وقوله في الحديث: «أحب»، أمر إرشاد لا أمر ندب؛ لأنَّ المقصود به
نفع المخاطب في الدنيا. قال ابن أبي شريف في حاشيته على جمع الجوامع^(٣):

(١) مجمع الأمثال ١/١٩١.

(٢) رواه البخاري ح ٢٤٤٤ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) هو كمال الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد المقدسي، المعروف بابن
أبي شريف، المتوفى سنة ٩٠٦هـ، أصولي من علماء الشافعية، واسم حاشيته: =

قال التاج السبكي: الفرق بين الندب والإرشاد، أنَّ الندب مطلوب لثواب الآخرة، والإرشاد لمنافع الدنيا ولا يتعلَّق به ثواب البتَّة؛ لأنه فعل متعلق بغرض الفاعل ومصلحته^(١). اهـ.

قلتُ: وهذا لا ينافي ترُتب الثواب لأمر خارج، كالأكل والنوم بقصد التقويِّ على الطاعة وتحصيل النشاط لقيام الليل والتهجُّد فيه، وكالنكاح يريد به كَفَّ نفسه وتحصيل ولد يُكثِّر به سواد الأمة.

قال التاج السبكي: والتحقيق أنَّ فاعل ما أُمرَ به إرشادًا إنَّ أتى به لمجرّد غرضه فلا ثواب له، وإنَّ أتى به لمجرد الامتثال غير ناظر إلى مصلحة ولا قاصد غير مجرّد الانقياد لأمر ربه أُثيَّب، وإنَّ قصد الأمرين أُثيَّب على أحدهما دون الآخر، ولكن ثوابًا أنقص من ثواب من لم يقصد غير مجرّد الامتثال. اهـ.

قلتُ: وهذه المسألة — وهي الجمع بين القصدتين — تجري كثيرًا فيمن يقرأ نحو (الواقعة) لأجل حصول الغنى، و (يس) لغرض من أغراض، ويُدمن الاستغفار لتوسعة الرزق، ويصلِّي على النبي ﷺ لقضاء حاجته. فجزى الله الإمام السبكي خير جزاء حيث صرَّح بإثابة مَنْ ابتلي بهذا الداء لأنه مما ابتلي به الجُمُّ الغفير والجمع الكثير، وهو مقام العامة.

وأما مقام الخاصة، فهو تنزيه العمل عن شرك الإِشراك وإِخلاصه لِمَلِكِ الْأَمَلِكِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فتراهم لا يطلبون في عبادتهم من غير الله مددًا، فلمَّا شغلتهم

= الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع، طبعت في فاس سنة ١٣١٢هـ في جزئين، ولم أعر عليها في مكتبات المشرق.

(١) تنظر هذه المسألة في حاشية البناني على شرح جمع الجوامع ١/٣٧٢.

عبادته عمّن سواه أعطى كلاً منهم ما تمنّاه. كما قال تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»^(١).

ورحم الله من قال: [من مجزوء الرجز]

واعمل لوجه واحدٍ يكفيك كلّ الأوجهِ

وفي الحديث القدسي أيضاً: «يا دنيا مَنْ خدمني فاخدميه، ومَنْ خَدَمَكَ فاستخدميه»^(٢).

وقوله في الحديث: «أحب» خطاب عام لكل مَنْ يصلح للمخاطبة، لكن قرينة كونه إرشادياً دلّت على أنّ المراد بالخطاب المؤمن فقط، لأنه لو كان الأمر فيه للندب لبقِيَ على عمومه بناءً على أنّ الكافر مخاطب بالأحكام الشرعية، وأنه يعاقب على تركها زيادةً على عقاب كفره.

وقوله: «حبيبك» من صيغ العموم؛ لأنه مفرد مضاف، لكنه هنا من العام الذي أريد به الخصوص، وذلك لأنه أريد به كل من تستحيل محبته بغضاً بقرينة السياق، فيخرج بذلك محبة الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام، وكذا محبة الحقّ تعالى؛ لأنه لا يُخشى في تلك المحبة إذا جاوز الشخص فيها حدّها ما ذُكِرَ من استحالتها بغضاً، بل الإفراط فيها مطلوب مشكور، وفاعله ولو تجاوز الحدّ معذور، ففي الحديث: «اذكر الله حتى يقولوا مجنون»^(٣).

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٠٥، ط. مؤسسة الرسالة ١٩٨٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٦٨/٣، ٧١، من حديث أبي سعيد الخدري، =

ورأيتُ الشيخَ الأكبرَ قُدسَ سرِّه ذَكَرَ: أنه رأى رجلاً من أهلِ المحبة في مجلس، فتكلم فيه رجل على المحبة، فأخذ ذلك المحبُّ يذوب جسمه حتى عاد نطفة، فقام بعض الحاضرين وأخذ تلك النطفة فوضعها في قطنة ووضع القطنة في شق الحائط^(١)!!

قلتُ: ولم أرَ من تكلم في الحديث بما ذكرته.

واعلم أنَّهم فرَّقوا بين العامِ المخصوصِ والذي أُريدُ به الخصوصِ بفروق، منها: أنَّ العامِ المخصوصِ قرينته لفظية كالشرط والاستثناء وغيرهما، والعامِ الذي أُريدُ به الخصوصِ قرينته عقلية. ومنها: أنَّ العامِ المخصوصِ مستعمل فيما وضع له فهو حقيقة، والذي أُريدُ به الخصوصِ مستعمل في غير ما وضع له فهو مجاز، وذلك كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، لأنَّ المراد بالناس الأولى رجل واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي^(٢)، وكقوله: ﴿أمر

بلفظ: «أكثرُوا ذكرَ الله حتى يقولوا مجنون». ورواه أبو يعلى في مسنده ٥٢١/٢، ح ١٣٧٦، من حديث أبي سعيد أيضاً بلفظ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً حتى يقولوا مجنون».

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٥/١٠ - ٧٦، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه درّاج وقد ضعفه جماعة، وبقيّة رجال أحد إسنادي أحمد ثقات. (١) هذا الكلام عجيب جداً، بل لا يعقل ولا يصح ولو رآه شيوخ الدنيا كلها، وليت المؤلف اكتفى بما تقدّم من نُقول عن الإمام السبكي، ففيها شفاء واكتفاء، وعليها التعويل في فهم كلامه ﷺ.

(٢) هو قول مجاهد وعكرمة ومقاتل في آخرين، وللمفسرين في تأويل الآية أقوال أخرى. ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ٥٠٤/١.

ونعيم بن مسعود صحابي أسلم زمن الخندق، وهو الذي خدّل المشركين وبني =

يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴿ [النساء: ٥٤]، لأنه أراد بهم نبينا ﷺ كما ذكره المفسرون^(١).

وبما تقرّر عِلْمُ أَنَّ الحديث من الدِّينِ المفسر بالنصيحة لخاصة المؤمنين وعامّتهم.

وقوله في الحديث: «هَوْنًا» بفتح أوله، أي: لينا سهلاً رقيقاً بسكينة ووقار.

قلت: وذلك لأنَّ المؤمن هَيِّنٌ لَيِّنٌ، فناسب أن يكون حُبُّه وبغضه مثله في اللين والركة والسهولة. تقول: هان الشيء يهون، كقال يقول؛ إذا سهل ولان. وأما الهُون بضم أوله فهو الذلُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيْمِسِكُمْ عَلَى هُونٍ﴾ [النحل: ٥٩].

وقوله في الحديث: «ما» يصحُّ أن يراد هنا من معانيها العشرة ثلاثة معانٍ، كما استخرجتُ ذلك من كلام القاضي البيضاوي^(٢) وَمَنْ كَتَبَ عَلَى عِبَارَتِهِ كَشِيخِ الْإِسْلَامِ، وَالشَّهَابِ الْخَفَاجِيِّ، وَشَيْخِي زَادَهُ، وَابْنِ تَمَجِيدٍ^(٣)

= قُرَيْظَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى صَرَفَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ يُرَوْ، مَاتَ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) هو قول أغلب الصحابة والتابعين. زاد المسير ١١٠/٢.

(٢) أي في تفسيره المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».

(٣) شيخ الإسلام: هو القاضي زكريا بن محمد الأنصاري (المتوفى ٩٢٦هـ)، واسم حاشيته: «فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل».

الشهاب الخفاجي: هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (المتوفى ١٠٦٩هـ)، واسم حاشيته: «عناية القاضي وكفاية الراضي».

شيخه زاده: هو القاضي عبد الرحمن بن محمد المعروف بشيخي زاده (المتوفى =

وغيرهم، ومن شرح الميداني لأمثاله^(١)، ومن إعراب القرآن المبين
للسمين^(٢)، ومن المناوي والعلقمي والعزيزي^(٣):
المعنى الأول: أن تكون «ما» زائدة للتأكيد.

المعنى الثاني: أن تكون صفة للنكرة التي قبلها، ويكون المعنى:
أي هون. قال البيضاوي^(٤): ف«ما» إبهامية تزيد النكرة إبهامًا، أي:
خفاءً. وشياعًا، أي: عمومًا. قال ابن تمجيد: ويتفرع على الإبهام
الحقارة، كقولك: أعط شيئًا ما، أي: شيئًا حقيرًا. أو الفخامة كقولهم:

= ١٠٧٨هـ)، له حاشية على تفسير البيضاوي.

ابن تمجيد: هو مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المعروف بابن التمجيد
(المتوفى ٨٨٠هـ)، كان معلم السلطان محمد الفاتح، له حاشية على تفسير
البيضاوي.

(١) مجمع الأمثال ص ١٩١.

(٢) السمين: هو شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي (المتوفى ٧٥٦هـ)، واسم
كتابه: «الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون» طبع بتحقيق الدكتور أحمد
محمد الخراط.

(٣) المناوي: هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي (المتوفى
١٠٣١هـ)، وكلامه في شرحه على «الجامع الصغير» للسيوطي، وله عليه
شرحان: كبير وهو «فيض القدير»، ومختصر وهو «التيسير بشرح الجامع
الصغير».

العلقمي: هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي (المتوفى ٩٦٩هـ)،
تلميذ الإمام السيوطي، واسم كتابه: «الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير».
العزيزي: هو علي بن أحمد العزيزي البولاقي (المتوفى ١٠٧٠هـ)، واسم كتابه:
«السراج المنير بشرح الجامع الصغير».

(٤) أنوار التنزيل ص ١٧، ط مصطفى البابي الحلبي - ١٣٧٥هـ.

لأمر ما يسود من يسود. وقولهم: لأمر ما جدع قصيرٌ أنفه. اهـ.

قلت: لكن المراد في الحديث هنا التحقير؛ لأن المقصود حبًّا قليلاً.

المعنى الثالث: أن تكون «ما» نكرة، كما نقله قطب دائرة الولاية وكنز دُرِّ بحر الهداية والعناية، مَنْ تشرف به العالم المثالي والعالم الحسِّي^(١)، سيدي العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره في كتابه «الحاوي على البيضاوي» عن الفراء وثعلب والزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَمًا﴾ [هود: ٦٩]، وأنها إذا كانت نكرة كانت بدلاً مما قبلها. اهـ.

والتقدير: أحب حبيبك حبًّا متوسطًا، لأنَّ المبدل منه في نية الطرح فيكون المقصود الأعظم هو التوسط في الحب الذي أفادته «ما».

قلت: وقد رأيت في «مجمع البحار» المؤلف في تفسير ألفاظ صحيح البخاري، تأليف العلامة شمس الدين محمد طاهر الهندي الفتنِّي^(٢) – بفتح الفاء وتشديد المثناة من فوق وكسر النون وبياء النسبة – نسبة إلى بلدة فتنَّ من بلاد گجرات من قطر الهند: أن «ما» في الحديث للتقليل.

(١) لا يليق أن يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فهم الكُمَّل الذين تشرَّفت بهم البقاع والأماكن، أما غيرهم فليس بمعصوم مهما بلغ من العلو في درجات الصلاح، والله أعلم بسريرة قلبه فتحسِّن الظن به ولا نجزم له بشيء لأنَّ في ذلك تقوُّلاً على المولى الكريم. وربما يُعْتذر للمؤلف بأنَّ هذه كانت لغة عصره، سامحه الله بعميم عفوهِ.

(٢) الملقب بملك المحدثين (المتوفى ٩٨٦هـ)، واسم كتابه: «مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار»، طبع في الهند قديمًا ١٢٨٤هـ.

قلت: وهو كالذي قدمناه عن ابن تمجيد أنه يتفرّع من كونها للإبهام التحقير والتفخيم، ويصح في آية: ﴿مَثَلًا﴾ هذه الأوجه الثلاثة، ويزاد على ذلك وجهان في قراءة مَنْ رَفَعَ ﴿بِعُوضَةٍ﴾:

الأول: كونها موصولة حذف صدر صلتها والتقدير: مثلاً الذي بعوضة.

والثاني: أنها استفهام، هي المبتدأ وبعوضة خبرها ويكون الاستفهام في الآية لتقرير عدم الاستحياء.

قال شيخي زاده: ويكون المعنى: ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب الله بها المثل، بل له تعالى أن يُمثّل بما هو أحقر من ذلك. اهـ.

قلت: وذلك لعدم تفاوت الخلق كما قال تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: ٣]، أي: في إحكام الصنعة، لأنّ البعوضة وإن كانت حقيرة لا تفاوت بينها وبين الفيل في إحكام صنعتها. أو المراد بعدم تفاوت الخلق من حيث دلالة كلّ من الكبير والصغير والعظيم والحقير على وجود اللطيف الخبير، وعلى انفراده بالألوهية وبالصفات الكمالية، كما قيل:

وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنّه واحدٌ

ورحم الله من قال: [من الكامل]

ورقُ الغصونِ إذا نظرتَ دفايرُ مشحونةٌ بأدلةِ التوحيدِ

وقوله في الحديث: «أحب» بهمزة القطع في الرواية، فيكون مما

ماضيه رباعي. وفي ماضيه أربع لغات ذكرها في المصباح^(١):

هذه أولها: وهي: أَحَبَبَ.

(١) المصباح المنير ص ١١٧.

ثانيها: ثلاثية، وهي: حَبَبْتُهُ أَحْبَبْتُهُ من باب ضَرَبَ، والقياس أَحْبَبْتُهُ بالضم لكنه غير مستعمل. اهـ. قلت: وإنما كان القياس فيه الضم لأنه فعل مضاعف متعدّد، وكل ما كان كذلك كان مضارعه بالضم؛ لأنه يكون من باب قتل، وذلك كقولهم: ردّه يرُدّه، وعدّه يعُدّه، وضرّه يضرّه، وسرّه يسرّه، وهكذا.. فجاء هذا مخالفاً للقياس.

اللغة الثالثة: حَبِبْتُهُ أَحْبَبْتُهُ، من باب تَعَبَ.

رابعها: لغة هُدَلِيَّة، وهي: حَابِبْتُهُ حَبَابًا، من باب قَاتَلَ، فهو مَحْبُوبٌ وَحَبِيبٌ وَالْأُنْثَى حَبِيبَةٌ، وَجَمَعُهَا حَبَائِبٌ، وَجَمَعَ الْمَذْكَرَ أَحْبَاءً. وكان القياس أن يجمع جمع شُرَفَاءَ، لكنهم كرهوا اجتماع المثليين، وقد قال أعلام اللغة: كل ما كان على فعيل من الصفات، فإن كان غير مضاعف فبابه فُعَلَاءَ كَشَرِيفٍ وَشُرَفَاءَ، وإن كان مضاعفاً فبابه أفعلاء مثل حَبِيبٍ وَطَبِيبٍ وَخَلِيلٍ.

واختلفَ في حدِّ الحُبِّ واشتقاقه وسببه وفي كونه اختيارياً أو اضطرارياً.

أما الحدُّ فقال قوم: إنه لا يُحدُّ، فقد حُكي أنه قيل لامرأة عُذْرِيَّة: ما الحُبُّ؟ فقالت: والله إنه أجلُّ من أن يُرى، وخفي عن أبصار الوري، فهو كامن كُموُن النار في الحجر؛ إن قدحته وري وإن تركته تواري. وعلى هذا قول سلطان العشاق سيّدي عمر بن الفارض في بكر من أبكار أفكاره^(١):

[من الطويل]

هو الحُبُّ فاسلم بالحشأ ما الهوى سهلُ

فما اختاره مُضْنَى به وله عقلُ

(١) شرح ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني ٢/٩٠، المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ.

فانظر كيف أتى بهذا الضمير الجليل الذي لا يؤتى به إلا في مقام
التعظيم والتهويل كقول أبي العلاء المعرّي: [من الطويل]

هو الهَجْرُ حتى ما يُلَمَّ خيالٌ وبعض صدودِ الزائرينِ وَصَالَ
والضمير في قوله: (هو الحب) عائد على حاضر في الذهن كأنَّ
الذهن استحضره لعظمته وتصوَّره لرفعته وهو مبتدأ خبره الحب، والجملة
بعده استئنافية والفاء في المصراع الأول واقعة في جواب شرط مقدَّر
تقديره حيثما حكمتَ بأنَّ الحب في هذه المرتبة العالية العظيمة، فاسلم
بنفسك قبل أن تنشب المنية فيك أظفارها وترسل عليك شِوَاطِها وشَرارها.
وقال قوم: بل الحب يحدُّ، وأنه ميل القلب، وذلك الميل ناشيء إما عن
رؤية المحبوب أو سماع أوصافه، ويقال للثاني حبُّ موسوي كما قال بعضهم:

[من مجزوء الكامل]

فعلمتُ أني مُوسوي م العِشْقِ إدراكًا

ويعني: أهوى بجارحة السماع ولا أرى عين المسمّى.

وقال آخر^(١): [من البسيط]

والأذُنُ تَعشِقُ قَبْلَ العَيْنِ أحيانًا

فإذا رأى الرائي صورة أو سمع بأوصافها صورها في ذهنه فمال إليها قلبه
متوهماً أنها اختصت بصفات كمالية لا توجد في غيرها. ولا تقع محبة بين
شخصين إلا بعد وجود مشاكلة ما بينهما، ولذا قال الشاعر: [من السريع]
وَقَائِلٍ كَيْفَ تَفَرَّقْتُمَا فقلْتُ قولاً فيه إنصافُ

(١) ديوان بشار بن بُرد ص ٢٢٣ جمع محمد بدر الدين العلوي — دار الثقافة بيروت.
وصدره: يا قومُ أذني لبعض الحيِّ عاشقَةٌ.

لم يَكْ من شكلي ففارقتهُ والقومُ أشكالٌ وأوصافُ
ومن اللطائف ما حكى أنَّ التيمور كان يحبُّ السيد الجرجاني
لفضله، وكان يباليغ في إكرامه حتى مال السيد إليه لما جُبلت عليه القلوب
من حُبِّ مَنْ أحسن إليها، فتذكر السيّد يوماً في ميله إلى ذلك الرجل
وصحبته له وتردده عليه فشرع يوبخ نفسه قائلاً: لولا مناسبة ومشكلة فيك
لهذا الرجل لما كان منك ميل إليه. ثم انقطع عن التردد إلى التيمور،
فاستبطأه وأرسل يستحضره فلم يحضر، فذهب التيمور إليه مستخفياً، فلما
رآه قال له: سألتك بالله ما الذي قطعك عني؟ فأخبره السيّد بواقعة الحال،
فلما أتمَّ كلامه قال: سبحان الله كيف خفيت عليك المناسبة بيني وبينك
إلى هذا الوقت، أتريد مناسبة أحسن من كوني وإيّاك نحب أهل البيت،
فعند ذلك انشرح صدر السيّد لهذا المقال وكأنما نشط من عقّال، وعاد إلى
صحبه والتردد عليه^(١).

وقال بعض الحكماء: الحب داء وسواسي لا يعرض إلا للقلوب
الفارغة. وقيل: الحبُّ عمى المحبِّ عن إدراك عيوب المحبوب، أو عرض
وسواسي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور.

قلت: وعليه قول المجنون^(٢):
[من الطويل]

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

(١) المعروف عن تيمورلنك أنه كان من الظالمين الذين استباحوا دماء الناس، وأما
محبته آل بيت النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله فلن تنفعه مع ما فعله من
إراقة الدماء. كما لا يتصور أن يميل الإمام الجرجاني وهو من هو في علماء
الإسلام إلى هذا الظالم ويحبه ويقدمه.

(٢) ديوان مجنون ليلي ص ٢٨٢.

قلت: وبما قدّمته عُلِمَ سببه، والمعتمد أنه اختياريُّ ابتداءً اضطراري
انتهاءً، وذلك كاستعمال الأفيون.

وأما اشتقاقه، فقيل: من حبة القلب فمعنى أحببت زيّدًا أصبت به
حَبَّةً قلبي كما أن الشغف إصابة شغاف القلب، وهو غشاؤه الذي يحيط
به، وقيل: هو من حباب الماء وحببه لصفائه ورقّته. وقيل: من الحب
بالضم وهو إناء كبير يوضع فيه الماء، وذلك لأنّ الحب الذي هو ميل
القلب يحتوي على الرقة واللطافة كما يحتوي حُب الماء على ذلك الجوهر
اللطيف السيّال.

واعلم أنّ الحب يزداد حتى يبلغ الشغف، وهو أن يصل إلى شغاف
القلب كما قدمنا، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠]،
أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، فإن زاد على ذلك وجاوز الحدّ سُمِّيَ
عشقًا مأخوذ من شجر تسمى العشقة تعود بعد نضرتها وخضرتها معفّرة
الأوراق ثم تذبل وتصير هشيماً تذرّوه الرياح، شبهوا العاشق بها في
ذلك.

فإن زاد العشق وأفرط كان هيامًا وصاحبه هايم، وهو الذي لا يدري
أين يتوجّه، وحيثنذ يختلّ نظامه ويقلُّ كلامه ويطير كراه من وكر جفنه
وينفذ دهن مصباح عقله وذهنه. فإذا انقلب والحالة هذه حبيبه بغيضًا
زادت البليّة وعظمت الرزيّة، فلذلك قال سيّد المرشدين وإمام الهادين
والمهتدين صلّى الله عليه وسلّم وعلى من آل بالقرابة أو المحبة أو بهما
إليه: «أحب حبيبك هونًا ما»، أي: مقتصدًا في المحبة لا مائلًا إلى إفراط
ولا تفريط، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يكن

حُبُّكَ كَلْفًا وَلَا بَغْضُكَ تَلْفًا^(١).

قوله: كلفًا — بفتح الكاف واللام — هو العشق، وقد تقدّم أنه مجاوزة حدّ المحبّة؛ وأما الكلف — بكسر اللام — فهو مَنْ قام به الكلف. وقوله: ولا بغضك تلفًا، أي: مفضيًا بك إلى تلف من أبغضته.

وقال الشاعر:

[مجزوء الرجز]

حُبُّ التناهي غَلَطٌ خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسَطُ

لأنّ ما يخرج عن الوسط خرج عن الاعتدال، ولذلك جعل الله هذه الأمة وسطًا عدولاً غير مائلة إلى طرف من الأطراف، كالأمم قبلها، فإنّ منها من مال إلى طرف الإفراط، ومنها من مال إلى طرف التفريط.

قلت: وقوله: «أحب» ليس المراد به حقيقة الأمر بالحب بل المراد به الأمر بمعاملة من يحبه معاملة من لا يُفْرِط في محبته ولا يفرّط، وذلك يفهم من قرينة عقلية وهي أن الحب اختياري ابتداءً اضطراري انتهاءً كما تقدّم، وإذا كان كذلك وأحبّ الشخص حبيبًا كيف يتأتى له أن يجعل حبه غير مفرط، وقد ثبت أنه غير داخل تحت اختياره فكيف يسوغ أمره بعدم جعله مُفْرِطًا، هذا وليس الأمر في الحديث للندب حتى نقول برأي مَنْ يرى التكليف بالمُحَال، فتعيّن أن يكون قوله: «أحب» من المجاز المرسل وعلاقته هنا السببية لأنّ الحب سبب لمعاملة المحبوب، ويكون المعنى: عامل حبيبك معاملة مَنْ لا يخرج عن حدّ المحبّة ولا تعامله معاملة مَنْ يخرج عن حدّها بحيث تطلعه على عُجْرِكَ وُبُجْرِكَ وسرائرك وضمائرك

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ح ١٣٢٢، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. البشائر الإسلامية.

وذخائرك، فلربما استحالت صداقته عداوة ومرّ ما كنتَ تعهده فيه من
الحلاوة، كما قال الشاعر:

[من مجزوء الكامل]

احذر عدوك مرةً
فلربما انقلب الصديق
واحذر صديقك ألف مرةً
وقال آخر:

[من الوافر]

سَلِمْتُ مِنَ الْعَدُوِّ فَمَا دَهَانِي
سِوَى مَنْ كَانَ مَعْتَمِدِي عَلَيْهِ
وقال آخر:

[من المجتث]

لَوْ قِيلَ لِي سَلْ أَمَانًا
لَمَا سَأَلْتُ أَمَانًا
مِنْ حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
إِلَّا مَنِ الْإِخْوَانِ

[من المجتث]

أَمَّا الْعَدُوُّ فَيُبِيدِي
لَكِنْ تَوَقَّ وَحَاذِرْ
مَا عِنْدَهُ وَيَكْأَشِفْ
مِنَ الصَّدِيقِ الْمُطْلَافِ

[من الرَّمَل]

وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ (١):
لَا يَغُرُّنَكَ لِيْنٌ مِنْ فَتَى
إِنَّ لِلْحَيَّاتِ لِيْنَا يُعْتَزَلُ

[من الكامل]

لَا تَطْمَئِنَّ بَلِيْنٍ فَلَکُمْ
وَإِنْظِرْ إِذَا اسْتَغْرَبْتَ قَوْلِي فِي
مِنْ لِيْنٍ قَدْ فَتَّتَ الْقَاسِي
فَعَلِ الرَّصَاصِ بِمَعْدِنِ الْمَاسِ

وفي الحديث: «أخوك البكري ولا تأمنه» (٢). قوله: «أخوك» هكذا

(١) لامية ابن الوردي المسماة: نصيحة الإخوان، ص ١٠٩ من فتح الرحيم الرحمن شرح نصيحة الإخوان - المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣٠٣هـ.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الحذر من الناس، ح ٤٨٦١، والإمام =

الرواية، وكان القياس: أخاك، لأنَّ المقام مقامُ التحذير.

قال العريزي^(١): وهو مبتدأ. وقوله: «البكري» نعت له، والخبر محذوف تقديره يُخاف منه. وقال الخطابي: هذا مثل مشهور عند العرب، وفي هذا الحديث إثبات الحذر واستعمال سوء الظن إذا كان على وجه السلامة. اهـ.

قوله: (واستعمال سوء الظن)، اعلم أن سوء الظن بالأخ المسلم حرام؛ لقوله تعالى: ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [الحجرات: ١٢]، فما ورد من الأحاديث مما ظاهره يخالف ذلك كهذا الحديث، وحديث: «الحزم سوء الظن بالناس»^(٢) محمول على معاملة الأصدقاء معاملة من يُساء به الظن مع حسن الظن بهم، فإن تَرَكَ ذلك كان تاركًا

أحمد في المسند ٢٨٩/٥، من حديث عمرو بن الفُغَوَاء الخُزَاعِي في قصة طويلة.

وقال المنذري: في إسناده محمد بن إسحاق بن يسار.

والنبي ﷺ استعمل هذا المثل تنبيهًا لعمرو بن الفُغَوَاء عندما أرسله بمال لأبي سفيان بمكة بعد الفتح، وذلك تحذيرًا من رفيقه الذي صاحبه في تلك الرحلة قائلاً له: «إذا هبطت بلاد قومه فاحذره، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري ولا تأمنه».

(١) السراج المنير شرح الجامع الصغير ٧٤/١.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ح ٦٠٢، وتَمَّام في فوائده (الروض البسام) ح ١١٦٧ من حديث أنس، بلفظ: «احترسوا من الناس بسوء الظن»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٨٩: رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

وللحديث شواهد عند أحمد في الزهد والبيهقي في السنن والديلمي في مسند الفردوس، ذكرها السخاوي. ينظر: المقاصد الحسنة ص ٢٤.

للحزم فلربما ندم على تركه حيث لا ينفعه الندم. وعلى ما تقدّم يُحمل،
مثل قول الشاعر:

لا يَكُنْ ظُنُّكَ إِلَّا سَيِّئًا إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الفِطْنِ
ما رمى الإنسان في مهلكةٍ غير حُسْنِ الظَّنِّ والفِعْلُ الحَسَنُ

وقوله في الحديث: «البكري» - بكسر الباء - هو أول ولد
الوالدين، فهذا لا تأمنه فضلاً عن الأجنبي.

وفي الحديث أيضاً: «أخْبِرْ تَقْلَهُ»^(١)، قوله: «أخْبِرْ» بإسكان الخاء
المعجمة وضم الموحدة، وقوله «تَقْلَهُ» بتثنية اللام كما قاله العزيزي^(٢)،
وهو من القلى وهو البغض. قلت: والأمر فيه بمعنى الخبر كما في قوله:
«إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعِ ما شِئْتَ»^(٣)، أي: صنعت، وهنا معناه إذا اختبرت
الناس قليتهم لما يظهر لك من سوء بواطنهم، وحُذِفَ معمولُ الخبر لإرادة
العموم، لأنَّ حذفَ المعمول يؤذن بالعموم، والتقدير أخبر من شئت أو أي
صاحب. والهاء في قوله: «تقله» هاء السكت، ويصح أن تكون ضميراً
عائداً على المعمول المقدّر، أي: أخبر صاحبك تقله.

(١) رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً، قال الهيثمي في المجمع
٩٠/٨: وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف.

وقد ذكر السخاوي هذا الحديث في المقاصد الحسنة ص ٢٥ وبين طرقه وضعفها
ثم قال: ومن شواهد ما اتفق عليه الشيخان عن ابن عمر مرفوعاً: «الناس كإبل
مائة لا تجد فيها راحلة».

(٢) السراج المنير ٦٩/١.

(٣) رواه البخاري ح ٣٤٨٣ من حديث أبي مسعود البدري بلفظ: «إنَّ مما أدرك
الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحي...».

[من البسيط]	وفي المعنى قول الشاعر:
لِيَ التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِيءٍ غَرَضًا	جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ
[من الطويل]	ويرحم الله أبا نُؤاسٍ حيث يقول ^(١) :
لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ	إِذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ
[من الطويل]	وقال آخر:
وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبِ	وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ	فَلَمْ تُرْنِي الْأَيَّامَ خِلًّا تَسْرُنِي
[من الطويل]	وقال آخر:
فَأَذْهَبُهُ هَذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ	وَقَدْ كَانَ حُسْنُ الظَّنِّ بَعْضَ مَذَاهِبِي
[من مجزوء الخفيف]	وقال آخر:
وَأَرْضَ بِاللَّهِ صَاحِبًا	جَنَّبَ النَّاسَ جَانِبًا
سَتَّ تَجْدَهُمْ عَقَارِبًا	قَلَّبَ النَّاسَ كَيْفَ شَاءَ
[من المجث]	وقال آخر:
وَالْبُعْدُ عَنْهُمْ سَفِينَةٌ	النَّاسُ بَحْرٌ عَمِيقٌ
لِنَفْسِكَ الْمَسْكِينَةُ	وَقَدْ نَصَحْتُكَ فَاَنْظُرْ
[من الكامل]	وقال آخر:
وَالْأَلُّ أَلٌّ وَالْحَمِيمُ حَمِيمٌ	جَرَّبْتُهُمْ فَإِذَا الْمُعَاقِرُ عَاقِرٌ

(١) ديوان أبي نؤاس ص ٢٦٤، جمع محمد كامل فريد ط ١٩٤٥م، ونصه: إذا امتحن الدنيا...

وقلت في المعنى :
لقد جرّبت أصحابي فكانوا
على التجريب من شوك القتاد
قليتهم فباتوا يسلقوني
[من الوافر]

وقلت أيضًا :
إلى ذي العدل أشكو من أناس
وإن غابوا عن العينين عادوا
إذا قابلتهم كانوا مرآتي
مقاريضًا لعرضي في الخلاء

وقوله في الحديث : «عسى أن يكون بغيضك» عسى هذه من أفعال
المقاربة، وهي فعلٌ ماضٍ جامد، وفيه ترجُّح وطمع، وعمله عمل كان، كما
قال في الخلاصة^(١) :

ككأن كادَ وعسى لكنْ نَدَرَ
غيرُ مضارعٍ لهذينِ خَبَرَ
وتكون مثل كان ناقصةً وتامة، فالناقصة مثل قولك : عسى زيد أن
يقوم، والتامة مثل : عسى أن يقوم زيد، فجملة أن يقوم فاعل، والتقدير :
قارب قيام زيد. فإن قيل : أين يكون الفاعل جملة في اللفظ؟ فقل : مثل أن
المصدرية توصل بالفعل، وكما تكون عسى للترجُّح والطمع كذلك تكون
بمعنى اليقين، كما في المصباح^(٢).

وقال بعضهم : إنَّ كاد تختصُّ عن أخواتها بكون إثباتها يكون نفيًا
ونفيها إثباتًا، وعلى ذلك قول أبي العلاء المعري :
أنحويّ هذا العصرِ ما هي لَفْظَةٌ
جَرَتْ في لسانِي جُرْهُمِ وشمودِ؟
[من الطويل]

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣٢٢/١، ط محمد محيي الدين
عبد الحميد ١٩٦٤.

(٢) المصباح ص ٤١٠، بتصرف.

إذا استعملت في حالة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جُحودٍ

ومما يؤيد ما ذكره ما حكي أن ذا الرُّمة^(١) - وهو غيلان صاحب مية - لما أنشد قوله^(٢):

إذا غيّر الهجرُ المحبينَ لم يكد رسيسُ الهوى من حبِّ ميةَ يبرحُ

اعترضه السامعون بأن كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات، وأن الواقع في بيته منفي فيكون مثبتًا، ويصير المعنى: أن رسيس الهوى قد زال من حب مية، مع أن مراده دعوى عدم ذهابه. وأن ذا الرُّمة لما سمع اعتراضهم سلّم فغيّر قوله: لم يكد بلم تجد.

وقال المحققون: إن كاد كغيرها من الأفعال نفيًا وإثباتًا وأنّ المعترض مخطيء وأنّ تسليم ذي الرمة له خطأ والصواب بقاء البيت على ما هو عليه. ويكون معناه: لم يقرب رسيس الهوى من الزوال إذا زال حب المحبين من البعاد بل قوله أبلغ من قولكم: لم يبرح رسيس الهوى، وذلك لأن مقاربة الزوال إذا انتفت، فالزوال من باب أولى. ومثله قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا﴾ [النور: ٤٠]، وهو في الآية أبلغ من لم يرها لما عرفت، ولأن من لم يرَ قد يقاربُ الرؤية.

وقالوا: إن عسى لا تكون من الله تعالى إلّا واجبة، ومثلها لعلّ

(١) هو غيلان بن عقبة العدوي، من مُضَر، معروف بذي الرُّمة، شاعر من فحول الطبقة الثانية، عشق مية المنقرية واشتهر بها، توفي بأصبهان ١١٧هـ. الأعلام ١٢٤/٥.

(٢) ديوان شعر ذي الرُّمة ص ٧٨، وفيه: إذا غير النأي، بدل: الهجر. ومعنى رسيس الهوى: مشّه وأوله.

لاستحالة التوقُّع والطمع عليه تعالى، والتحقيق: أن عسى ولعلَّ إذا وقعتا في كلامه تعالى كانتا على معناهما الأصلي وهو التوقُّع والطمع ويكون ذلك بالنسبة إلى المخاطبين لا بالنسبة للمتكلِّم، كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، والمعنى أن كُلاً من تَذَكَّرِه وخشيته متوقِّعٌ ومظنون لكما، والذي في علمي القديم أنه لا يتذكَّر ولا يخشى، ولكن أرسلتكما إليه لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل.

وقوله في الحديث: «وأبغض بغيضك» بهمزة القطع لأنه رباعي، يُقال: أبغض زيدٌ عمرًا، قال في المصباح^(١): قالوا: ولا يقال: بَغَضْتُهُ بغير ألف. اهـ.

قلت: وتعبيره بصيغة التبرِّي تشير إلى أن بَغَضَهُ لغةٌ. أقول: ويشهد له ما في الحديث وهو قوله: «بغيضك» لأنَّ صفةً فعيل لا تصاغ إلَّا من ثلاثي، لكن الأنسب في الحديث أن يكون رباعيًا، وتكون همزته همزة قطع ليشاكل قوله فيها قوله: «أحب». ولا يخفى أنَّ المشاكلة من أنواع البديع.

وفي الحديث أيضًا من أنواع البديع الطباق بين قوله: «حبيبك» و«بغيضك» و«أحب» و«أبغض»، وفيه الاشتقاق بين «أحب» و«حبيبك» و«أبغض» و«بغيضك»، وفيه الفرائد: وهو الإتيان بلفظة لا يقوم غيرها مقامها، وهي في الحديث لفظ: «ما»، وفيه الانسجام والإيجاز، وفيه الموازنة بين قوله: «أحب حبيبك» و«أبغض بغيضك»،

(١) المصباح المنير ص ٥٦.

وفيه المجاز كما عرفته مما تقدّم. فهذه ثمانية أنواع من البديع، وفيه غيرها.

وأما رتبة هذا الحديث فالحُسْنُ^(١)، كما ذكره العزيزي^(٢) عن شيخه^(٣). واعلم أنّ الحديث الحَسَنَ قسمان: حَسَنٌ لغيره: وهو ما في رجاله مستور لم تحقق أهليته وليس بمغفّل ولا متّهم وعُرفَ متنه بأن يُروى من وجه آخر، والثاني: حَسَنٌ لذاته: وهو ما كان راويه مشهورًا بالصدق لكنه مقصر عن رجال الصحيح في الحفظ وهو مرتفع عن حال من يُعدُّ تفرّده منكرًا.

واللّٰهَ أسألُ أنْ يَمُنَّ علينا بحبّه وحبّ مَنْ مَنَّ عليه بحبّه، وأن يحفظنا مما يوجب بغضه من الآثام، وأن يتفضّل علينا وعلى أحبّابنا بحُسن الختام. وقد قيّدتُ هذه الشوارد بالكتابة خوفًا من شرودها من الأفكار التي تلبلت، والأهوال التي تسلسلت، وكفى بعصرنا هذا عذرًا لكل معتذر، وعظة لكلّ مدّكر، نسأل الله فيه المعافاة الدائمة، وحفظ الدّين وحُسن الخاتمة بوسيلة من كان للأنبيا خير ختام، عليه من الله تعالى أفضل الصلاة والسلام^(٤).

(١) تقدم الكلام على تخريج الحديث ونقد العلماء لرواياته في المقدمة ص ٧.

(٢) السراج المنير ٥٧/١.

(٣) شيخ العزيزي هو الشيخ محمد بن محمد الأكرابي القلقشندي المتوفى سنة ١٠٣٥هـ المعروف بمحمد حجازي، وهكذا سماه العزيزي في مقدمته ٢/١، من كتبه «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير» اثنا عشر مجلدًا. الأعلام ٦٢/٧.

(٤) تمت المقابلة الأولى لهذه الرسالة بين صلاتي العصر والمغرب من يوم ٢٢ =



رمضان البركات عام ١٤٢٠هـ محاذاة الركن اليماني الآخر تجاه الكعبة المعظمة في صحن المسجد الحرام بقراءتي عن النسخة المنضدة ومتابعة الأخ العزيز لؤلؤة البحرين الشيخ نظام محمد صالح يعقوبي على الأصل المخطوط، والأخ الكبير أبي سالم مساعد العبد القادر على المنسوخ، ومن الله التيسير وعليه التكلان في الإعانة لإنهاء خدمة هذه الرسالة.

□ وتمت المقابلة الثانية لهذه الرسالة ظهر يوم الثلاثاء ٢١ صفر الخير عام ١٤٢١هـ، في منزلنا الصيفي من بلدة بحدود من جبال لبنان بقراءتي ومتابعة الأخ الشيخ المحقق محمد بن ناصر العجمي على المخطوط.

□ وتم ضبط الأبيات الشعرية ووزنها على الأخ الصديق الصدوق الدكتور محمد حسان الطيّان جزاه الله خيرًا بمتابعة وحضور من الأخوين العزيزين الأستاذ إبراهيم الزبيق والشيخ بسام الجابي وذلك عصر يوم الخميس ٥ جمادى الآخرة عام ١٤٢١هـ ببلدة عين الفيحة من ريف دمشق الشام كلاًها الله بعينه التي لا تنام، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه



فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المعتمي بالرسالة
٧	نص الحديث وتخريجه وشرحه
١١	ترجمة المؤلف
١٢	— مولده ونشأته
١٢	— طلبه للعلم وشيوخه
١٣	— هجرته إلى بيروت
١٣	— تقلده القضاء والإفتاء في بيروت
١٦	— انتقاله إلى دمشق
١٧	— مقتطفات من شعره
١٨	— شيوخه بدمشق
١٨	— تلاميذه
١٩	— مما قيل فيه
٢١	— مؤلفاته
٢٣	— وفاته وراثته وتلميذه له
٢٦	نماذج من صور المخطوط
٣١	أول الرسالة
٥٤	آخر الرسالة

